# الاستخدام الدعـــــوي للناتــج الحضـــــاري

دراســة دعوية في ضــوء النص القرآني

الدكتور/ محمد عبد الله موسى ابراهيم
أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية - بكلية الدعوة الإسلامية
جامعة أم درمان الإسلامية - السودان
mohamad.ama1971@gmail.com

## الاطار العـــام للبحث

**تمهيـــد:**

من مقاصد الدعوة إلى الله تعالى إخراج الناس من ظلمات الجهل والشرك إلى نور التوحيد والإيمان بجانب الدعوة إلى إعمار الكون بما يفيد البشرية ويحقق السعادة والطمأنينة.

ولعل هذا لا يتأتى إلا وفق منهج واضح يقوم على بصيرة من التخطيط السليم والرؤية الثاقبة يؤيدهما فهم عميق للواقع ومعطياته، وفي سبيل تحقيق هذه المقاصد فإن المنهج الدعوي وانطلاقاً من المرونة التي يتسم بها له القدرة في أن يلبس كل حالة لبوسها، وبالتالي فإن التعامل مع معطيات البيئة ومنتجات الحضارة كفيل بتحقيق هذه المقاصد من خلال الاستخدام الدعوي الصحيح لها وبدلاً من صيرورتها عبئاً عليه تصبح من الوسائل المهمة التي يستصحبها الداعية معه في سبيل تحقيق أهدافه الدعوية.

وفي هذا البحث نشير إلى أبرز جوانب الحضارة وكيفية توجيهها لصالح الدعوة الإسلامية انطلاقاً من دراسة بعض النماذج للنصوص القرآنية.

**أهمية البحث :**

يكتسب هذا البحث أهميته في تعلقه بالدعوة إلى الله تعالى ، ولما كان شأن الدعوة إلى الله يحتاج إلى البصيرة النافذة فإن هذا يحتم على القائمين على أمرها ضرورة المعرفة بالمنهج الدعوي واستخداماته والوقوف على سعة مجاله ، وفي هذا البحث الإشارة إلى سعة المجال الدعوي انطلاقاً من الإفادة من مكونات الحضارة التي من شأنها خدمة الدعوة ، ولذلك يأتي هذا البحث مكتسباً أهميته من هذه المعـــاني .

**أهداف البحث :**

تهدف الدراسة لتحقيق الآتي:-

1- بيان مفهوم الاستخدام الدعوي
2- بيان سعة المجال الدعوي
3- الإفادة من القصص القرآني في استكشاف الوسائل والأساليب الدعوية المناسبة لعصرنا.
4- إبراز أثر الاستخدام الدعوي لمنتجات الحضارة.

**مشكلة البحث:**

إن مشكلة البحث تنبثق من أهمية الموضوع المراد معالجته ويمكن طرح المشكلة انطلاقاً من الأسئلة الآتية:-

1- ما مفهوم الاستخدام الدعوي ؟
2- ما الكيفية التي يمكن اتباعها للإفادة الدعوية من الناتج الحضاري؟
3- ما النتائج المترتبة على الاستخدام الدعوي للناتج الحضاري؟

حدود البحث:

تقتصر الدراسة على (الاستخدام الدعوي للناتج الحضاري – دراسة دعوية في ضوء النص القرآني) وذلك باختيار بعض النماذج من النصوص القرآنية.

**منهج البحث:**

يعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي والاستقرائي والتاريخي ليصل إلى الإجابـــة على تلك الأسئلة.

مصطلحات الدراسة:

وردت في هذا البحث بعض المصطلحات التي يمكن تعريفها من وجهة نظر الباحث على النحو التالي:

1- الاستخدام الدعوي: الإفادة من الجانب المادي والمعنوي للحضارة وكيفية تسخيره لخدمة الدعوة.
2- الناتج الحضاري: هو ما وصلت إليه البشرية من رقي وتقدم في كافة الجوانب (العلم والاخلاق والعمران) والتي هي من أبرز سمات الحضارة.

**هيكل البحث:**

المبحث الأول: الدعوة والمنهج والحضارة - المفاهيم والدلالات

المبحث الثاني: العلاقة بين الدعوة والجانب العلمي للحضارة

المبحث الثالث: العلاقة بين الدعوة والجانب الأخلاقي للحضارة.

المبحث الرابع: العلاقة بين الدعوة والجانب المادي للحضارة.

## مستخلص البحث

يتناول هذا البحث أبرز الجوانب المكونة للحضارة وكيفية تسخيرها والإفادة منها في الدعوة إلى الله جل ثناؤه، وقد اشتمل البحث على أربعة مباحث، أشرت فيها إلى العلاقة بين الدعوة وتلك الجوانب المكونة للحضارة ومدى إثراء هذه الجوانب لمنظومة المنهج الدعوي ، وقد مهدت لهذه الدراسة بتعريفات عامة لكل من الدعوة والمنهج والحضارة.

كما حاولت من خلالها إبراز الفوائد الدعوية المتعلقة بهذه الجوانب وتوضيح أثرها في الواقع المعاصر انطلاقاً من مفهوم الاستخدام الدعوي لهذه المكونات.

وقد توصل الباحث من خلال هذه الدراسة إلى أن الاستخدام الدعوي للناتج الحضاري يحفظ للأمة حضارتها ويضمن لها سعادتها، الأمر الذي يقتضي الإعداد الجيد للداعية والاهتمام بالمكونات اللازمة لشخصيته، وعليه فإن على الداعية إعداد نفسه والتزود بمختلف المعارف والإفادة من التراث الإنساني الضخم في ميدان إصلاح الأمم وتربيتها.



## Abstract

This paper deals with the most prominent aspects of the constituent of civilization and how to harness them and benefit from them in the call to Allah exalted , has included research on four topics , I pointed them to the relationship between advocacy and those aspects consisting of civilization and the extent of the enrichment of the answer to the system approach the lawsuit , has paved the way for this study definitions common to all of advocacy and curriculum and civilization .

Also tried to highlight the benefits of which advocacy related to these aspects and clarify their impact on contemporary reality based on the concept of advocacy for the use of these components .

The researcher concluded from this study that the use of advocacy for the output of civilization saves the nation's culture and ensures her happiness , which requires good preparation for calling attention to the components necessary for his character , and therefore the preacher prepare himself and to acquire different knowledge and benefit from the human heritage huge in the field of Nations reform and bred .

## المبحث الأول: الدعوة والمنهج والاستخدام الدعوي والحضارة ـ المفاهيم والدلالات

أولاً: التعريف بالدعوة الإسلامية:

### 1- مفهوم الدعوة الإسلامية:

يقصد بالدعوة الإسلامية الرسالة الخاتمة التي نزلت على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وأمر بتبليغها، وهذا المفهوم للدعوة يشير إلى معاني الدين بكافة جزئياته ، مع ضرورة اكتساب المحاولات الفنية التي تساعد على النشر والبلاغ.( غلوش ، 1987، ص12 ، 13.) ويدخل في هذا المفهوم ضمناً حث الناس على مكارم الأخلاق جملة ونهيهم عن سفسافها ،وحمايتهم من اتباع الهوى ،واستفراغ الوسع في عرض هذه المبادئ والقيم بصورة تتناسب مع مقام التبليغ عن الله عز وجل.

### 2- التعريف اللغوي للدعوة :

تأتي كلمة (دعوة ) في المعاجم العربية لتشير إلى معان عدة منها: دعا الرجل دعوا ودعاء ناداه، والاسم الدعوة ودعوت فلانا أي صحت به واستدعيته.. والعرب تقول دعانا غيث وقع ببلد فأمرع أي كان ذلك سببا لانتجاعنا إياه...والدعاة قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة واحدهم داع ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين أدخلت الهاء فيه للمبالغة.(ابن منظور ، 1414هـ ص257).

ويتضح من هذه الأمثلة أن لفظ الدعوة يصح إطلاقه في مقام الدعوة إلى الخير والشر معاً، فمثال الأول قوله تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (سورة فصلت رقم الآية 33) ومن ذلك أيضاً حكاية القرآن لدعوة الجن لقومـــــــهم:( يَاقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ) (سورة الأحقاف رقم الآية 31).

ومثال الثاني استعمال لفظ الدعوة في مقام الشر قوله تعالى في شأن فرعون وقومه بأنهم دعاة النار:( وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ)( سورة القصص رقم الآية 41.) ،وفي حديث السبعة الذين يظلهم الله يوم القيامة في ظله ذكر منهم عليه الصلاة والسلام :(ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال إلى نفسها فقال إني أخاف الله) (البخاري،1987ص 517).

### 3- التعريف الاصطلاحي للدعوة:-

هناك عدة تعريفات اصطلاحية للدعوة منها تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية [*]حيث عرفها بقوله:(الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه)( ابن تيمية،2005م ج 15ص157).

وقد سار على هذا المعنى بعض المعاصرين حيث تم تعريفها لديهم بأنها: (تبليغ الإسلام للناس وتعليمه إياهم وتطبيقه في واقع الحياة).(البيانوني،2001م، ص 17). وأبرز ما يميز هذا الاتجاه في التعريف اشتماله على معاني الدين وذكر مراتبه وجزئياته وبالتالي فهو يركز على ذكر المضمون دون الإشارة إلى الوسيلة أو الأسلوب بصورة صريحة.

أما الاتجاه الثاني في التعريف ففيه زيادة توضيح لما جاء ذكره في التعريف الأول وذلك انطلاقاً من جمعه لذكر المضمون وعدم إغفال ذكر الوسيلة والأسلوب لتحقيق أفضل النتائج، وبناءً على ذلك جاء تعريفها على أنها: (برنامج كامل يضم في أطوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس ليبصروا الغاية من محياهم وليستكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين)(الغزالي،1981،ص17) كما عرفت بأنها:(حركة علمية عملية لنشر الإسلام وتعليمه للناس وتعريفهم به على وجهه الصحيح، وفق منهج علمي مدروس بوسائل وأساليب راقية ومتجددة، بواسطة دعاة مسلمين يقومون به في الناس على هدى وبصيرة )(العرمابي،2007،ص10).

وبالرغم من أن هذا التعريف أشمل من سابقه إلا أن جميع هذه التعريفات يكمل بعضها بعضاً كما أن العلاقة بين المفهومين قائمة حيث إن (الداعية الذي يتحرك بين الناس ناشراً الدين فهو يعلمهم أحكامه ويصحح لهم المفاهيم الخاطئة عنه ،وذلك وفق منهج علمي رصين متقن ذي وسائل وأساليب يجتهد أن تكون ذات تقنية عالية مواكبة للعصر ومرنة ومتجددة بحسب الزمان والمكان وأحوال الناس)( العرمابي،2007،ص10).

---

[*]هو: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر الدمشقي أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية: الامام، شيخ الاسلام، كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين، آية في التفسير والاصول، فصيح اللسان، قلمه ولسانه متقاربان توفي سنة728هـ (الزركلي، 2002، ج1ص 144)

**ثانياً: التعريف بالمنهج:**

**1- التعريف اللغوي لكلمة منهج:-**

تأتي كلمة (المنهج) في معاجم اللغة العربية لتفيد معاني الاستقامة والوضوح والبيان، فيراد(بمَنْهَجُ الطريقِ: وضَحُه والمِنهاج كالمَنْهَجِ)( ابن منظور،ج2 ،1414 هـ ،ص 383).

وقد ورد ذكر هذه الكلمة في القرآن الكريم في قوله تعالى:( لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا)(سورة المائدة رقم الآية 48)أي سبيلاً وسنة(ابن كثير،1999، ج3،ص،129)،ووردت كذلك في حديث النبي ﷺ: (ثم تكون خلافة على منهاج النبوة)(حنبل،1998، ج 4 ص 273).ومن ذلك ما جاء في تعبيره ﷺ لرؤيا عبد الله بن سلام [*] عندما قال : (رأيت كأن رجلا أتاني فقال انطلق فذهبت معه فسلك بي منهجاً عظيماً.... فقصصتها على رسول الله ﷺ ، فقال :رأيت خيراً أما المنهج العظيم فالمحشر) (حنبل،1998، ج 5 ص 452).واستعملت هذه الكلمة في مسائل البحث العلمي لتشير إلى الخطة المرسومة لمشروع ما وفق رؤية موضوعية تحقق الأهداف المرجوة منها.

**2- التعريف الاصطلاحي لكلمة منهج:-**

اصطلح العلماء على إطلاق كلمة المنهج في الأمور التي تحتاج إلى التخطيط الجيد الذي يسبق التنفيذ لأمر ما ، فقد جاء تعريفه بأنه :(الخطة أو التخطيط اللازم لشيء ما )(جريشة،1986،ص 1) أو هو ( النظام والخطة المرسومة للشيء).(إسماعيل،1997،ص 76)

ومن تعريفات المنهج أيضاً أنه:- ( الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم )(بدوي، 1963،ص 4)أو هو ( البرنامج الذي يحدد لنا السبيل للوصول إلى الحقيقة )(غازي، 1990،ص81)وعرف أيضاً بأنه (تنظيم عملية البحث عن الحقيقة وفقاً لمجموعة من الإجراءات العملية والأطر الفكرية وما يرتبط بها من أدوات لجمع البيانات والمعلومات وأساليب تحليلها ومعالجتها).(توفيق،2007،ص34).

ويلاحظ في هذه التعريفات أن المنهج عبارة عن رؤية مبنية على استقراء الوقائع وتحليها بغرض استكشاف ما يؤول إليه الأمر، كما أنه طريق يوصل به إلى المعرفة والوقوف على حقيقة الشيء وتيقنه على ما هو عليه.

**مفهوم الاستخدام الدعوي:**

من خلال التأمل في المعاني التي دلت عليها كلمة (خدم ومشتقاتها) نجد أنها تفيد معاني عدة منها: تسخير الشيء والإلمام بمعرفته ورجاء نفعه، يقال: خَدَمَه يَخْدِمُه ويَخدُمه بمعنى: مهنه، واخْتَدَم : خَدَم نَفْسَه ،واسْتَخْدَمه واخْتَدَمه فَأَخْدَمَه : اسْتَوْهَبه خادِماً فَوَهَبَه له ، ويقال : استَخدمتُ فُلاناً واخْتَدَمتُه سألتُه أن يَخْدُمِني (الزبيدي،دون تاريخ ، ج32 ص55).

وانطلاقاً من هذه المعاني يمكن الإشارة إلى الاستخدام الدعوي بأنه: كل فعل يتصل بالدعوة نشراً وتبليغاً، وكيفية تسخيره للإفادة منه في إطار الحكمة التي هي عماد المنهج الدعوي، وذلك لقول ربنا تبارك وتعالى:( ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)، (سورة النحل رقم الآية 125) يقول أبو حامد الغزالي[*]:(والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم).(أبو حامد،1987، ص120)

ومن هنا تتضح أهمية الاستخدام الدعوي لكافة معطيات البيئة التي يوجد فيها المدعو، وضرورة تسخير هذا الاستخدام الذي يعد جزءاً من المنهج الدعوي الذي يدعو إلى الإفادة القصوى من كل ما من شأنه أن يخدم الدعوة بكافة جوانبها.

**ثالثاً: التعريف بالحضارة :**

---

[*]عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي ،الإمام، الحبر، المشهود له بالجنة، أبو الحارث الإسرائيلي، حليف الأنصار. من خواص أصحاب النبي -ﷺ- مات. سنة ثلاث وأربعين بالمدينة.(الذهبي ، 1413هـ ج 3 ص 364)

[*]محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي ولد سنة خمسين وأربعمائة وتفقه على إمام الحرمين، وبرع في علوم كثيرة، وله مصنفات منتشرة في فنون متعددة، فكان من أذكياء العالم في كل ما يتكلم فيه، توفي سنة 505هـ .( ابن كثير،1997 ج16ص213)

**1- مفهوم الحضارة :**

الحضارة نقيض البداوة فكل مجتمع استقر حاله ونمت معارفه وأبدع في مجال مكونات الحضارة كالعلم والعمران وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفاهية وطيب العيش يقال عنه أنهم أهل حضارة.(ابن خلدون، دون تاريخ، ص 132.)

وهذا يعني أن الحضارة تتميز بالتراكم المعرفي الناتج من كثرة صناعة الأشياء والتفنن في تطويرها بناءً على زيادة العمران وحاجة الناس في الإقبال علي تنوع هذه الصناعة، الأمر الذي يجعل من المعارف سوقاً رائجة تدفع المجتمع للتفاعل معها.(ابن خلدون، دون تاريخ، ص 396.).

**2- التعريف اللغوي للحضارة :**

الحضارة في اللغة جاءت بمعنى(الإقامة في الحَضَر...والحَضَر والحَضْرة والحاضرة: خلاف البادية، وهي المدن والقرى والريف) ( ابن منظور،ج4 ،1414 هـ ،ص 197). كما تفيد اشتقاقات هذه المادة معاني الكثرة، والوفرة، والقرب، وحسن التدبير، وطيب المعشر، وعدم الجفاء.( الجوهري،1990، ج 3 ص 197.)

وجميع هذه المعاني لها صلة بالمقيمين في الحضر، وذلك لأن واقع الحضر يتسم بشيء من التعقيد الأمر الذي يفرض على الجميع التعاون الايجابي والاجتماع الفاعل لإثراء جوانب الحياة ومحاولة تطويرها، ولهذا جاء لفظ الحضارة في المعاجم اللغوية الحديثة مراداً به معاني الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي والاقتصادي. (إبراهيم وآخرون دون تاريخ، ج1 ص 181).

**3- التعريف الاصطلاحي للحضارة :**

استناداً إلى المعنى اللغوي للحضارة فإن المعنى الاصطلاحي لا يبعد كثيراً منه فقد عرفت بأنها:(الحصيلة الشاملة للمدنية والثقافة، وهي مجموع الحياة في صورها وأنماطها المادية والمعنوية)(السايح،1977،ص70). وهذا التعريف يعد واسعاً في مدلوله فقد جاء شاملاً العناصر المكونة للحضارة.

وقد عرفت أيضاً بأنها:(نمط عيش مجموعة بشريّة معيَّنة، في بيئة معيَّنة يتمثَّل في النظام الّذي تعتمده المجموعة وفي سلَّم القيم الاجتماعيّة الّتي تحدِّدها لنفسها).(علم الدين، المجتمع ، 1992 ص6). وهذا التعريف الأخير يعد قاصراً لتركيزه على الجانب المعنوي الذي يقتصر على الرؤية العامة للكون والحياة والإنسان.

## المبحث الثاني: العلاقة بين الدعوة والجانب العلمي للحضارة

مما لا شك فيه أن الدعوة إلى الله جل ثناؤه ملازمة للعلم النافع وحاثة عليه وسواء كان هذا العلم يبحث في الآيات الشرعية أو الكونية فإن نفعه للإنسان وارد إذ به تزول الشبهات وتتضح به معالم الحق وينجو به الإنسان من الاضطراب والحيرة، الأمر الذي يقود إلى معرفة الله التي بها صلاح الإنسان وسعادته ويكفي في ذلك أن أول ما نزل من القرآن الكريم. (الواحدي ، 1968 م ، ص 6). قوله تعالى: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)(سورة العلق، الآيات من 1-5) والحكمة ظاهرة في الأمر بتعلم القراءة لأنها الأساس في تقدم المعرفة ونمو الحضارة.

وقد تضافرت الآيات موضحة أهمية العلم وضرورة استخدامه لحاجة الإنسان الدينية والدنيوية الأمر الذي يتحقق به مقصد الدعوة وتتعزز به قيم الحضارة قال تعالى :(وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ).( سورة البقرة رقم الآية 247).

وفي هذا إشارة إلى أهمية العلم ومدى إسهامه في الحضارة من خلال الجمع بين المعارف الدينية والدنيوية مما يؤهل الداعية للتفاعل مع مشكلات واقعه بالصورة التي تخدم مشروعه الدعوي، يقول ابن عاشور[*] في دلالة هذه الآية الكريمة:(فأعلمهم نبيئهم أن الصفات المحتاج إليها في سياسة أمر الأمة ترجع إلى أصالة الرأي وقوة البدن لأنه بالرأي يهتدي لمصالح الأمة، لا سيما في وقت المضائق، وعند تعذر الاستشارة، أو عند خلاف أهل الشورى ، وبالقوة يستطيع الثبات في مواقع القتال فيكون بثباته ثبات نفوس الجيش) ( ابن عاشور، 1984،ج 2 ص 491).

---

[*] ابن عاشور: محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، مولده ووفاته ودراسته بها، عين (عام 1932) شيخا للإسلام مالكيا، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. له مصنفات مطبوعة من أشهرها (مقاصد الشريعة الاسلامية) و (أصول النظام الاجتماعي في الاسلام) و (التحرير والتنوير) في تفسير القرآن، صدر منه عشرة أجزاء، توفي سنة 1973 م (الزركلي ،2002، ج6 ص 174).

وبهذا الاعتبار فإن الإلمام بمعرفة هذا الجانب من الحضارة يعد أحد المكوَنات المهمة التي تصبغ شخصية الداعية ،لأن الداعية لا بد أن تكون لديه ذخيرة علمية ومعرفية تجعله يواكب العصر ،ويستطيع أن يدلي بدلوه في القضايا المتعلقة بأمته ودعوته)(العرمابي، 2007، ص 105).

ولعل من الاستخدامات الدعوية الجلية المتعلقة بهذا الجانب المهم من جوانب الحضارة وضرورة تسخيره للدعوة ما جاء في قصة سليمان عليه السلام الواردة القرآن الكريم حيث قال جل ثناؤه: (فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ). (سورة النمل رقم الآية 42.)

ويستفاد من قصة سليمان عليه السلام جملة أمور ودروس دعوية في غاية الأهمية منها ما يتعلق بالحوار ومراعاة آدابه ومنها ضرورة إحكام الوسائل والأساليب الدعوية ومنها إبراز حضارة الإسلام وتفوقها والقدرة على تسخير نتائج العلم والمعرفة في الدعوة إلى الله تعالى، وبيان ذلك على النحو:

**أولاً: أهمية مراعاة أحوال المدعوين:**

وهذا أسلوب دعوي يجب مراعاته حال تقديم الدعوة بحيث يجب على الداعية إنزال المدعو المنزلة اللائقة به كما فعل سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ حيث راعى مكانتها بين قومها وأحسن وفادتها باستضافتها في قصر يليق بمقامها الأمر الذي جعلها تنطق بالتوحيد وتسلم لله رب العالمين قال تعالى :( قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (سورة النمل رقم الآية 44)فقد دلت الآية أن سليمان عليه السلام راعى مكانتها بين قومها (وهذا جار على عادة استقبال الملوك والرؤساء في قصور الضيافة الفخمة، فقد قال لها وفد الاستقبال السليماني: ادخلي هذا القصر المشيد العالي، فإنه بني لاستقبال العظماء) ( الزحيلي، 1418هـ ج 19 ص 305).

وقد جاءت الإشارة إلى هذا المعنى في سنة النبي ﷺ فعن أمنا عائشة رضي الله عنها أنها قالت :( أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم) (مسلم، دون تاريخ، ج1 ص4.)، فإذا أحسن تقديم الدعوة وروعي فيها هذا الأدب العظيم وعلم المدعو بأن استجابته للدعوة لا تخصم من مكتسباته التي حققها لنفسه دعاه ذلك للتسليم بها وقبولها.

**ثانياً: الاجتهاد في إحكام الوسائل والاساليب الدعوية:**

تأسيساً على ما سبق فإن من الفوائد التي نستخلصها من هذه القصة ضرورة إحكام الوسائل والأساليب الدعوية وهذا المعنى يتضح من خلال الصرح الذي تم تشييده وأمرت ملكة سبأ بدخوله، والسياق القرآني يدل على أنها وصلت إلى مرحلة الإذعان بما رأته من أخلاق النبوة والتأييد العظيم الذي لا يخفى أمره على العاقل.

ويمكن الإشارة هنا إلى إمكانية الإفادة من منجزات الحضارة الحديثة وتوظيفها توظيفاً صحيحاً يليق بالدعوة ويخدم أهدافها ولا يكون ذلك إلا بالعلم. كما أن المعرفة بحضارة الغير تمكن الداعية من استخدام المنهج الدعوي المناسب ويعد هذا أمراً مهماً ومكسباً عظيماً للإفادة منه في العمل الدعوي بصورة عامة.

**ثالثاً: العمل على إزالة الحواجز بين الداعية والمدعو:**

يعد السؤال واحداً من الأساليب الدعوية المهمة ،فقد يستخدمه الداعية ويريد من ورائه مدى معرفة وإدراك المدعو بالموضوع ليحدد وجهة حديثه ويحكمه. وقد يراد بالسؤال استثارة ذهن المدعو لمعرفة إمكانياته العقلية وملكاته الفكرية، كما أن أسلوب السؤال يزيح كثيراً من الحواجز بين الطرفين ويقرب المسافة بينهما ويمهد لإيجاد قاعدة مشتركة ينطلق منها الحوار بصورة هادفة.(العرمابي،2007، ص 228وما بعدها).

ويلاحظ أن الحوار المباشر مع ملكة سبأ عند وصولها بدأ بالسؤال عن عرشها قال تعالى: (فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ) (سورة النمل رقم الآية 42) ،وقد علم سليمان عليه السلام من ردها أنها ذكية وافرة العقل، وقد بنى سليمان عليه السلام بعد ذلك خطته الدعوية بشأن ملكة سبأ بناءً على هذه القدرات التي تتمتع بها. وما أكثر منتجات الحضارة التي يمكن أن تكون مدخلاً للدعوة من خلال هذا المفهوم.

**رابعاً: إظهار الداعية مناقبه عند الحاجة :**

قد يتعرض الداعية لكثير من المواقف التي تدعوه لأن يظهر بعض مناقبه كوسيلة ناجحة لجذب المدعوين وبيان صحة دعوته وفكرته التي يدعو إليها، وفي هذا نجد أن سليمان عليه السلام عند وقوفه على ذكاء ملكة سبأ أوضح في هذا المقام أن الله أعطاه الهداية والعقل والحزم قبل هذه الملكة وأضاف إليها نعمة الهداية النافعة الأصلية بقوله وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (السعدي، 2000، ص 605).

وعلى هذا فإنه ما على الداعية من بأس إن أظهر شيئاً من مناقبه خاصة إذا كانت هناك مصلحة راجحة كإزالة شبهة أو دفع تهمة أو بيان أمر فيه نفع للدعوة والمدعوين يقول ابن حجر[*]:(وإنما يكره ذلك عند المفاخرة والمكاثرة والعجب) ( ابن حجر ،2002، ج5 ص 513.) وعلى هذا فإن التفوق الحضاري في مجال ما لا يعني إلغاء وجود الآخر بقدر ما يعني التعاون وتبادل المنافع وتحقيق المقاصد الدعوية.

**خامساً: إظهار انتصار الإسلام وشعار المسلمين .**

كما يستفاد من قوله: وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ). (سورة النمل رقم الآية 42) العمل على إظهار محاسن الإسلام والاعتزاز بالانتماء إليه خاصة في وجه من له حضارة يعتز بها، والسياق القرآني المتعلق بقصة سليمان مع ملكة سبأ يشير إلى أن هذه المملكة كانت على قدر عظيم من مظاهر الرقي يقول بن عاشور:(وأرادوا بالعلم علم الحكمة الذي علمه الله سليمان ورجال مملكته ويشاركهم بعض أهل سبأ في بعضه فقد كانوا أهل معرفة أنشأوا بها حضارة مبهتة) ،(ابن عاشور، 2000م،ص 267)ومع هذا كان سليمان عليه السلام متفوقاً عليهم بالفضل والعلم الذي يخدم الدنيا ويعزز نصرة الدين، الأمر الذي يؤكد أهمية التعامل مع المنتج الحضاري والعمل على الإفادة منه في سبيل الدعوة.

وإذا كان التفوق الحضاري في بعض جوانبه قد حط رحله بعيداً عن ديار الإسلام والمسلمين فإن المسلمين يسعهم أن يفتخروا بما عندهم من علوم الوحي التي يتميزون بها عن غيرهم، فهم الذين يملكون التفسير الصحيح لعالم الغيب والشهادة، وهم المؤهلون أكثر من غيرهم للجلوس على قمم المظاهر الحضارية.

وفي سياق ذي صلة بموضوع العلم وأهمية الإفادة منه في الجانب الدعوي نجد ما أشار إليه القرآن الكريم في قصة يوسف عليه السلام فإنه يشير إلى أن الملك الحاكم لمصر وقتها استخلص يوسف لنفسه لما رآى عليه من العلم والحكمة اللذين يمكن بهما صيانة الحضارة وتثبيت أركانها، كما أن يوسف عليه السلام عمل على تسخير هذا العلم والمعرفة في الدعوة إلى التوحيد ومكارم الأخلاق وإعمار الأرض من خلال فقه التعامل مع الأقدار والمعرفة بالسنن الكونية.

وبيان ذلك في قوله تعالى :( وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) (سورة يوسف الآيتان 54 و55) ويوسف عليه السلام إنما طلب الولاية على خزائن الأرض لعلمه بأن هناك أزمة قادمة تحتاج إلى التدبير، يقول سيد قطب[*]:(والأزمة القادمة وسنو الرخاء التي تسبقها في حاجة إلى الحفظ والصيانة والقدرة على إدارة الأمور بالدقة وضبط الزراعة والمحاصيل وصيانتها، وفي حاجة إلى الخبرة وحسن التصرف والعلم بكافة فروعه الضرورية لتلك المهمة في سنوات الخصب وفي سني الجدب على السواء).( سيد 1981. ج 12 ص 2005).

ومن هنا يظهر أثر الداعية في مواجهة الأزمات والسعي في حلها مع توظيف سعيه هذا توظيفاً دعوياً (ومن ثَمّ ذكر يوسف – عليه السلام - من صفاته ما تحتاج إليه المهمة التي يرى أنه أقدر عليها ، وأن وراءها خيراً كبيراً لشعب مصر وللشعوب المجاورة) ( سيد 1981. ج 12 ص 2005). الأمر الذي يدل على عظم دور الدعوة والداعية في الإسهام الحضاري والارتقاء بحال الأمة.

كما يدل هذا الأمر على أهمية استقراء الوقائع واكتساب القدرة على تحليل الأحداث خدمة للدعوة، وهذا أمر في غاية الأهمية ليس من نوافل المعرفة ولا يعد من الترف الفكري، بل تؤسس عليه حقائق وتبنى عليه نتائج في عملية الإصلاح والبناء(إن الكشف عن السنن التي تحكم الحركة الاجتماعية لا يتأتى إلا من السير في الأرض واستقراء التاريخ والتعرف على القوانين التي حكمت حركة البشر للإفادة منها للحاضر والمستقبل، فالحاضر على كل حال ليس محلاً كافياً للقراءة والاستقراء).(حسنة، 1998. ص25.)

والتعامل الايجابي مع هذا الجانب من الحضارة يدفع الداعية لترتيب أولوياته وإعداد نفسه علمياً وفكرياً بصورة طيبة، وفي ذلك مصلحة للعمل الدعوي إذ تتسع دائرة التأثير والإقناع من خلال المنهج الذي يستشعر الداعية أنه يحقق له تلك المقاصد والأهداف.

---

[*] أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر: من أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة. ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ، وعلت له شهرة فقصده الناس للأخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصره توفي سنة 852 هـ(الزركلي ،2002ج1ص 178).

[*]سيد قطب بن إبراهيم: مفكر إسلامي مصري، من مواليد قرية (موشا) في أسيوط، سنة 1906تخرج بكلية دار العلوم (بالقاهرة) سنة 1934 م وأعدم سنة 1967(الزركلي،2002، ج 3 ص 147.)

## المبحث الثالث: العلاقة بين الدعوة والجانب الأخلاقي للحضارة

من الملامح العامة التي جاء القرآن الكريم بها الدعوة إلى بناء مجتمع سليم معافى، وذلك من خلال إعلاء قيم الطهر والعفاف ونبذ الفاحشة بكل صورها، الأمر الذي يؤكد أن المجتمع الإسلامي هو مجتمع الإيمان والفضيلة والتمسك بالتعاليم الروحية التي تعد غذاءً رئيساً للعناصر المكونة للمجتمع المسلم (زكريا ،2000م ص 90)

وقد جاء التركيز على الأخلاق ومحاسنها لما يمثله هذا الجانب من أهمية عظيمة في استقرار الحضارة ونموها.

ومن مظاهر الرقي الحضاري الذي عملت الدعوة الإسلامية على تعزيزها المسائل التالية:

**المسألة الأولى: الاهتمام بقضية اللباس:**

وهي دعوة نجد فيها معاني الطهر والنقاء والبعد عن الفاحشة من خلال قوله تعالى:( يَابَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) ( سورة الأعراف رقم الآية 26.) وفي هذا الامتنان دعوة لاتخاذ اللباس الذي يستر السوءة عن أعين الناس إلى جانب ما يشتمل عليه التوجيه الكريم من أنواع الزينة والجمال التي تليق بالذكور والإناث،(رضا ،ج 8ص 319) هي دعوة تتماشى مع الفطرة السليمة والعقل الصحيح،(ولذلك سمي تيسير اللباس لهم وإلهامهم إياه إنزالاً، لقصد تشريف هذا المظهر، وهو أول مظاهر الحضارة...وهذا تنبيه إلى أن اللباس من أصل الفطرة الإنسانية، والفطرة أول أصول الإسلام، وأنه مما كرم الله به النوع منذ ظهوره في الأرض) ( ابن عاشور، 2000، ج 8 ص 73)

وقد عاب ربنا جل ثناؤه فعل المشركين بتركهم لخلق يعد من مظاهر الحضارة والتحضر إذ كانوا يتجردون عند طوافهم بالكعبة من ملابسهم ويقولون نطوف كما ولدتنا أمهاتنا، ويستوى في ذلك الرجال والنساء،(الطبري، 2000، ج 12 ص 377،) قال تعالى في شأنهم: (وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (سورة الأعراف رقم الآية 28).

وأخطر ما في الانحراف السلوكي أن يكون ثقافة لها أنصار كما هو الحال في الحضارة الغربية المعاصرة التي تدعو الناس إلى هذه الفواحش وتزينها بأنها مظهر من مظاهر تحضر الأمم وأنها نوع من التحرر، وماهي سوى انحرافات نتيجة لثقافة جاهلية قامت عليها تلك الحضارة، لأن من المعلوم بأن (الحضارة الغربية المعاصرة تمتد في جذورها إلى فكر اليونان والرومان الوثني فترضع منه تصورها للحياة، وطريقة تناولها للواقع والتعامل معه، بل إن الفكر الوثني هو الذي هيمن على المسيحية التي اعتنقتها أوربا وبسط ظله عليها ودخل بتفسيراته وتأويلاته وتحريفاته إلى أخص خصائصها حتى مسخها وجعلها تتعايش معه).(مجلة البيان،1986، العدد2ص 84).

والذين يرصدون الحراك الحضاري يعلمون أن المسلمين يتميزون في هذا الجانب بأخلاق كريمة تؤهل للقيادة والريادة كما قال هرقل لأبي سفيان رضي الله عنه(1) في حديث طويل: (وسألتك بما يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين) (البخاري، ج1 1987ص 7).

**المسألة الثانية: الإعلاء من شأن القيم الفاضلة:**

اعتنى الإسلام بصلاح المجتمع من خلال التذكير بأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن ذلك ما جاء في قصة أهل القرية الذين تحايلوا على شرع الله حيث أوضحت الآيات أن الله تبارك وتعالى حمد فعل الذين كانوا ينهون عن المعصية واستأصل الفريق الذين فعلوا السوء قال تعالى:( وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ) (سورة الأعراف الآيتان 164و165.)والآية تفيد وقوع العقاب إذا غلب الفسق والظلم على أمة من الأمم كقوله تعالى:( وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً) (سورة الانفال رقم الآية 25)(وقد عاقب الله بني إسرائيل كافة بتنكيل البابليين ثم النصارى وسلبهم ملكهم ، عندما عم فسقهـم).(رضا ،1990ج 9ص 318). الأمر الذي يؤكد مدى أهمية القيم في الحفاظ على تقدم المجتمع ورقيه (ومن هنا نستطيع أن نقرر أن المدنيات الإنسانية...يبدأ أفولها بتغلب جاذبية الأرض، بعد أن تفقد الروح ثم

---

(1) أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية الأموي ...رأس قريش، وقائدهم يوم أحد، ويوم الخندق... تداركه الله بالإسلام يوم الفتح...وكان من دهاة العرب، ومن أهل الرأي والشرف فيهم، فشهد حنيناً، وأعطاه صهره رسول الله -ﷺ- من الغنائم مائة من الإبل، وأربعين أوقية من الدراهم يتألفه بذلك ففرغ عن عبادة هبل، ومال إلى الإسلام...توفي: بالمدينة سنة إحدى وثلاثين، وقيل: سنة اثنتين، وقيل: سنة ثلاث أو أربع وثلاثين، وله نحو التسعين (الذهبي ، ج 3 ص 89).

العقل...وفي الحالة التي تنكمش فيها تأثيرات الروح والعقل تنطلق الغرائز الدنيا من عقالها لكي تعود بالإنسان إلى الحياة البدائية) (مالك بن نبي، دون تاريخ، ص53،).

ولهذا فإن تغيير المنكر مسؤولية عامة تجب بحسب الطاقة ، وكل فرد من الأفراد مطلوب منه تعزيز قيم الفضيلة والخير في المجتمع ونفي الخبائث عنه، (وهنا تتحول المسؤولية إلى مسؤولية ذات طابع جماعي، حيث إن هذه الجماعة ما هي إلا مجموعة الضمائر التي تربت في أحضان المدرسة الإسلامية الحقة، فأوجدت المجتمع المتكافل والمتعاون الذي يعمل من أجل الخير والسلام) (صالح وآخرون، دون تاريخ، ج 1 ص 110).

كما أن مساوئ الأخلاق تضر بالحضارة ضرراً عظيماً ومن أمثلة ذلك الإسراف الذي هو جهل بمقادير الحقوق (الجرجاني،1405، ص 38) قال بن حجر: (الإسراف مجاوزة الحد في كل فعل أو قول، وهو في الإنفاق أشهر) (ابن حجر، 2002 ج10 ص 311) ويشمل التوسع في المأكل والمشرب زيادة على الحاجة وكذلك إنفاق المال في اتخاذ الأبنية لغير ضرورة.

وعلى الداعية أن يوضح أن هذه الضوابط ليس فيها تقييد لحرية الإنسان أو كبت لرغباته وذلك من خلال الإشارة بأن دائرة الحلال والانتفاع به واسعة جداً لقولـــه تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا) (سورة البقرة ، رقم الآية 29)ولا يعدو أن يكون هذا الضبط نوعاً من السمو بالإنسان نحو قيم الفضيلة .

كما أننا نلحظ أن الإسراف يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالكفر والاستكبار ومساوئ الأخلاق الذي يؤدي بدوره إلى تدمير الحضارة وزوالها قال تعالى في شأن فرعون:( وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ) ( سورة يونس رقم الآية 83.) وقال تعالى:( وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى) (سورة طه رقم الآية 127.) وقال تعالى في شأن لوط إذ قال لقومه: (إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ)سورة يونس رقم الأية 81).

وفي عصرنا نشهد الكثير من الخيرات التي سخرت للإنسان مع إمكانية الإفادة منها في تحسين وضعه الذي يعيشه، لكن الغفلة عن المقاصد الحقيقة للانتفاع بالنعمة يجعل الانسان يوجه هذه النعم توجيهاً غير محمود، وقد بلغ الاسراف حداً جعل البعض يسعى للتفنن في بعض الأكلات لمجرد أن يقال إنها اكبر مأدبة على مستوى بعض الأقيسة العالمية استرضاءً لمشاعر بعض الناس ونزولاً عند رغبتهم. (وليس معنى النهي عن الاسراف حين ننعى على مرتكبه إبعاداً للمسلم عن الحياة ، وحثاً له على ترك طيباتها وهجر نعمائها ، فهو أمر لا يقصد الإسلام إليه ، ولكن المقصود أن نعيش في حالة اعتدال وتوازن على جميع المستويات في الدين والدنيا) ( سالم وآخرون، مشكلات في طريق النهوض، دون تاريخ، ص 138).

**الترشيد مظهر حضاري:**

واستناداً إلى ما ذكر فإن الترشيد في مجالات الحياة والتعامل الصحيح مع مظاهر الحضارة يعد أمانة عظيمة حيث يعود التصرف الحسن بالنفع على الجميع. ويعد هذا من المبادئ الأخلاقية التي تضبط فعل الانسان في الحياة وتؤدي إلى تهذيب سلوكـــه، قال تعالى:( يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ) (سورة الأعراف رقم الآية 31) وهذا المعنى جاء التأكيد عليه في قوله تعالى: (قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ) (سورة الأعراف رقم الآية 29.) وهي دعوة للمسلم بأن يحتكم في حياته لهذا المبدأ وأن يكون متيقظاً لما يخرجه عن حد الاعتدال، والقسط المأمور به في هذه الآية يشمل جوانب الحياة كلها كالعبادات والمعاملات. ( السعدي 2000، ص 286).

وقد خشي النبي ﷺ انفتاح خزائن الدنيا على أمته خوفاً من أن يؤدي بهم إلى المنافسة على أمور الدنيا يقول عليه الصلاة والسلام: (فو الله لا الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم) (البخاري،1987 ج4ص 117). لكنه عليه الصلاة والسلام بصّر أمته بكيفية التعامل مع النعم عامة حيث قال عليه الصلاة والسلام: (كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا ما لم يخالطه إسراف أو مخيلة) (ابن ماجة، 1998 ج،3 ص 274).

وفي هذا دلالة بأن الدعوة الإسلامية تدعو للتفرقة (بين معنى الجمال، وبين الإسراف والتكبر...وهذا لا يتحقق إلا بالانضباط للأمر النبوي الشريف الذي ينهى عن الاسراف والمخيلة ،الإسراف بما هو مضر بالجمال المادي الظاهري في البدن والمال، والخيلاء لأنه يشوه جمال النفس ويخالف فطرتها) (صغيري، 2012 ص 114).

ولذا فإن الاسلام حدد المعايير الكمية والنوعية للحاجة، فليس للإنسان الحق في التعامل وفق هوى نفسه ورغبتها في التفاخر والتكاثر ، ولهذا فإن حاجة الإنسان تقوم على ركائز ثابتة في ميزان الشرع مرتبة على حسب الأهمية تبدأ بالإنفاق على الضروريات أولاً ثم الحاجيات ثم التحسينيات أو الكماليات.(خلاف، دون تاريخ، ص 206،)

وأعداء الأمة يعملون على عكس هذه القاعدة وذلك بالإغراء للوقوع في الشهوات من خلال إغراق أسواق المسلمين بأنواع الملذات وفنونها والتوسع في الدعوة لاستهلاكها ،مستهدفين بذلك شباب المسلمين مزينين لهم أن مثل هذا السلوك يعد مظهراً من مظاهر الحضارة وعنواناً لتقدم المجتمع ورقيه.

ولا يتورع هؤلاء أن يظهروا أن هذا السلاح هو أحد أدواتهم ووسائلهم التي يعتمدون عليها في تقويض مجتمعات المسلمين، فمما جاء في برتوكولات بني صهيون القول:(سنلهيها...أي الجماهير...بأنواع شتى من الملاهي والألعاب ومزجيات للفراغ والمجامع العامة وهلم جرا، وسرعان ما سنبدأ الاعلان في الصحف داعين الناس إلى الدخول في مباريات شتى في كل انواع المشروعات... هذه المتع الجديدة ستلهي ذهن الشعب حتماً عن المسائل التي سنختلف فيها معه.) (التونسي،1980،ص175).

ولهذا فإن الدعوة الإسلامية تعمل على غرس قيم التعاون والإخاء بدلاً من التنافس في متاع الحياة الدنيا، لأن التنافس يدعو للإسراف الذي يؤدي بدوره للرخاوة والعجز عن طلب معالي الأمور، وبعدم الإسراف يزداد الإنتاج وتتقدم الأمة الإسلامية في اقتصادها وحضارتها. (صبح ، دون تاريخ، ص 314).

## المبحث الرابع: العلاقة بين الدعوة والجانب المادي للحضارة

في سياق الإشارة إلى الجانب المادي للحضارة نجد أن القرآن الكريم قد حمل على قوم هود وأنكر عليهم اتخاذ الأبنية التي لا تدعو الحاجة إليها ،الأمر الذي يدل على سفاهتهم وولعهم بالدنيا وشدة تعلقهم بها، من ذلك أنهم اتخذوا المصانع(*) والأبنية العالية حباً في اللهو واللعب، فقد حكى ربنا تبارك وتعالى انكار هود عليهم فقال تعالى:( أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ) (سورة الشعراء الآيتان 128و129.)

ولا يخفى أن الحكمة من الانكار عليهم في هذا أن تلك الأبنية خلت من المنافع واقتصر وجودها على العبث وما لا فائدة منه ولذا صار هذا الفعل مستنكراً لما اقترن به من السرف والخيلاء والغفلة.(ابن عاشور، 2000،ج16ص 166).

وفي ذات الوقت يشير القرآن الكريم لمظاهر الحضارة التي كانت في عهد سليمان عليه السلام بالاستحسان والرضا لأنها وُجهت التوجيه الدعوي الصحيح يقول تعالى في شأن ملكة سبأ: (قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (44) (سورة النمل رقم الآية 44) ويحسن هنا أن نشير إلى أهمية مراعاة البيئة حال تقديم الدعوة فلو أمكن فصل المدعو عن المؤثرات السالبة التي تحفل بها البيئة فهذا مظنة أن يستجيب للحق لقوله تعالى :(وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ) (سورة النمل رقم الآية 43)أي صدّها نشوؤها بين أظهر الكفار وعبادتها للشمس عن توحيد الله. (الزحيلي، 1418هـ . ج 19 ص 301).

مثال آخر يورده القرآن الكريم وهوما كان بشأن قوم صالح عليه السلام، فإنهم كانوا قد فتنوا باللذات الحسية المادية ، ومصداق ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: (كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ) (سورة الشعراء رقم الآيات 141إلى 152) فهذا النص القرآني يفيد ما كانوا عليه القوم من رغد العيش والبيوت الحصينة التي ظنوا معها البقاء، الأمر الذي نتج منه فساد محض لا صلاح معه.

ويتضح أن منهج صالح عليه السلام بجانب دعوته للتوحيد جاء يضع حداً لتعظيم الحياة المادية والعكوف عليها ، وما ذاك إلا لأن الاسترسال في أمر المادة والاحتفاء بها فيه انسداد لكثير من أبواب الخير، كما أن النفوس إذا انطمست ، والعقول إذا انتكست ، تعجب مما لا عجب فيه وتستنكر ما هو حق وصدق.(طنطاوى، 1993،ج7ص237) ومتى كانت الحياة بمثل هذا الحال كان الإسراف من أبرز سماتها.

ولهذا فإن المنهج الدعوي الذي اتبعه نبي الله صالح عليه السلام يصلح علاجاً لواقعنا الذي طغت المادة فيه على كثير من القيم والمبادئ، وذلك من خلال التوجيه للانتفاع بالنعم في حدود ما شرعت لأجله مع تقييدها بالشكر والتقوّي بها على عبادة الله جل ثناؤه، وهذا ظاهر من السياق القرآني المتعلق بقصة صالح عليه السلام وذلك في قوله تعالى: (وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) ( سورة الأعراف رقم الآية 74) ومما تدل عليه الآية

---

(*) لفظ المصانع الذي ورد في الآية يقول عنه الطبري: المصانع جمع مصنعة، والعرب تسمي كل بناء مصنعة، وجائز أن يكون ذلك البناء كان قصورًا وحصونا مشيدة، وجائز أن يكون كان مآخذ للماء، ولا خبر يقطع العذر بأيّ ذلك كان، ولا هو مما يدرك من جهة العقل، فالصواب أن يقال فيه، ما قال الله: إنهم كانوا يتخذون مصانع( الطبري،2000،ج19ص 336)

أن صالحاً عليه السلام أفاد من آثار حضارة عاد في دعوته حيث أحال قومه ليعتبروا بمن سبقهم، ومن هنا يلزم الداعية توظيف الآثار الحضارية توظيفاً منهجياً يستلهم العبرة والعظة ويفيد منها تقويماً وتوجيهاً فيربي بها المدعوين ويعتمد عليها في توضيح الدعوة لأن هذه الحضارات التي جاء ذكرها في القرآن الكريم تمثل (تاريخًا لسير الدعوة الدينية في الحياة، وكيف خطت مجراها بين الناس منذ فجر الخليقة؟...وبما انتهى الصراع بين الغي والرشد؟...وفي تضاعيف السرد التاريخي لأخبار الأولين يزداد عرض الدعوة وضوحًا ويستبين منهجها الذي تحدو البشرية إليه) (الغزالي، دون تاريخ، ص110).

وعليه فإن النظر في الحضارات البائدة ليس من نوافل المعرفة ولا يعد من الترف الفكري، بل أمر في غاية الأهمية تؤسس عليه حقائق وتبنى عليه نتائج في عملية الإصلاح الاجتماعي، حيث (إن الكشف عن السنن التي تحكم الحركة الاجتماعية لا يتأتى إلا من السير في الأرض ،واستقراء التاريخ ، والتعرف على القوانين التي حكمت حركة البشر ،للإفادة منها للحاضر والمستقبل، فالحاضر على كل حال ، ليس محلاً كافياً للقراءة والاستقراء) (حسنة،1998،ص25). ومثل هذه الدراسة تحقق الاعتبار انطلاقاً من قياس الشيء على مثله ومقابلة النظير بنظيره الأمر الذي يحصل به الفهم الحقيقي لمصير المعاندين وعاقبة المتقين.( السعدي، 2000، ص 848).

إن الاستخدام الدعوي للناتج الحضاري يؤكد على الإفادة القصوى من كافة جوانب الحضارة وتسخيرها خاصة في ظل الانفجار المعرفي والاحتفاء بالمادة(وإنه لابد من السيطرة على البيئة كي نستطيع تكوين خلق نظيف، ولابد من السيطرة عليها كذلك لنضمن انتظام الأمور على نحو يصون المصلحة، ويحقق العدالة ويحمي الرسالة التي يناط بها شرف الأمة ووجودها المادي والمعنوي) (الغزالي ،دون تاريخ ص54.)

وهذه دعوة للأخذ بكل الوسائل العلمية والتقنية والإدارية التي يتطلبها العصر والتي لا تكون الأمة بغيرها أمة قوية في اقتصادها وسلاحها وإعلامها، وقد كان المسلمون إلى نهاية القرن السادس عشر الميلادي القوة العالمية الأولى في مجال التقدم العلمي والتقني والسلاح البري والبحري.( مجلة البيان العدد 173 سنة ، ابريل 2002 ص 74.)

ولما كان العلم التجريبي مظهراً من مظاهر الحضارة فإن أسلوب الإعجاز العلمي المبني على الحقائق العلمية التي أشار إليها القرآن الكريم يعد مناسباً لهذا العصر الذي طغت فيه المادة (لأن دعوة القرآن للعلوم الكونية تحتم علينا أن نجعلها من أبرز مسالك دعوة الناس إلــى الله) ( ندوة،2001. ج1 ص 14) حتى يظهر التكامل بين علوم الوحي والمعارف الإنسانية الأمر الذي يؤدي إلى خدمة الدعوة إلى الله جل ثناؤه.

وهذا يوضح ضرورة الإفادة من البحوث العلمية التي تظهر التكامل المعرفي بين الوحي والعقل ولأن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية يعد وسيلة دعوية جاذبة، فمن خلال الانترنيت مثلاً يمكن عرض نتائج الاعجاز العلمي على نطاق واسع، الأمر الذي يحقق نصراً للدعوة نظراً للنتائج المحكمة التي لا تدع لأحد فرصة للرفض أو الإنكار.

وفي سياق هذا المعنى يقول الشيخ محمد الغزالي:(على كل مشتغل بعلوم الإسلام أن يدرس الحياة كلها، وأن يتعرف وجوه النشاط البشري ومراميه القريبة والبعيدة، إن الانحصار في حدود الفكرة الخاصة، والاقتناع بجانب من المعرفة دون جانب، كل ذلك حجاب دون معرفة الإسلام والإفادة من تراثه الضخم في ميادين الثقافة والتربية، والفقه والتشريع، وسياسة الأفراد والجماعات) (الغزالي ، 2010. ص 205).

إن الاستخدام الدعوي للناتج الحضاري يشير إلى أهمية تجاوز النظرة التقليدية المتعلقة بإعداد الداعية ،وضرورة تأهيله وتزويده بالعلوم التي لها القدرة في أن تكسبه مزيداً من الثقة في تحركه الدعوي بحسبان أن المعرفة بهذا النوع من العلوم يفتح آفاقاً كبيرة في التعامل مع الناس والتعاون معهم والتقرب إليهم.

## الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آلــه وصحبه أجمعين، وبعد، لقد أشارت الدراسة إلى الجوانب التي تشكل الحضارة مع بيان علاقة هذه الجوانب بالدعوة، وقد ظهر أن المنهج الدعوي يتسم بالمرونة والقدرة على حل المشكلات الدعوية، ومن خلال هذه الدراسة أخلص إلى أبرز النتائج والتوصيات التي يمكن صياغتها وفق الترتيب الآتي:-

أولاً: النتائج:

1- المنهج الدعوي أعم من أن يكون مقتصراً على تكوين الشخصية المتكاملة والمتوازنة، بل فوق هذا يعنى بتكوين المجتمع الفاضل الذي تسوده القيم الفاضلة.
2- الاستخدام الدعوي للناتج الحضاري يحفظ للأمة حضارتها ويضمن لها سعادتها.
3- اشتملت مناهج الأنبياء على الاستخدام الدعوي انطلاقاً من الإفادة من حضارات الأمم السابقة .
4- الاستخدام الدعوي يشمل تصحيح العقيدة والدعوة للأخلاق الكريمة والتربية على السلوك الحسن والدعوة للاهتمام بالواقع والسعي لحل مشكلاته.
5- الاستخدام الدعوي يقتضي الإعداد الجيد للداعية، والاهتمام بالمكونات اللازمة لشخصيته يعد من أعظم عوامل نجاحه.

ثانياً: التوصيات:

1. على الداعية إعداد نفسه والتزود بمختلف المعارف والإفادة من التراث الإنساني الضخم في ميدان إصلاح الأمم وتربيتها.
2. الإفادة من الناتج الحضاري في تعميق الإيمان والانتفاع به في تقوية المجتمع المسلم
3. ترسيخ العلم بالسنن الكونية في الإصلاح والتغيير
4. العمل على تأمين العمل الدعوي وإظهار محاسن الإسلام من خلال الإفادة من التطبيقات العلمية(التقنية أو الصناعية).
5. الاهتمام بالتخطيط السليم للعمل الدعوي على ضوء الثوابت الأصيلة التي تتمثل في المنهج الرباني.

**المصادر والمراجع:**


1. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، 2005م، مجموع الفتاوى ،دار الوفاء.
2. ابن حجر، أبو الفضل أحمد، 2002، فتح الباري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
3. ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد، دون تاريخ. المقدّمة، دار الجيل، بيروت.
4. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد 1984، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس.
5. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، 1999،تفسير القرآن العظيم، دار طيبة للنشر والتوزيع
6. ابن ماجة، محمد بن يزيد، دون تاريخ، سنن ابن ماجه، دار الفكر ،بيروت
7. ابن منظور، محمد بن مكرم، 1414هـ ، لسان العرب، دار صادر، بيروت
8. أبو حامد الغزالي، محمد بن محمد، 1987،المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى ،الناشر الجفان والجابي
9. أحمد بن حنبل ،أحمد محمد،1999،مسند الإمام أحمد بن حنبل تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة
10. إسماعيل، عبد الخالق إبراهيم، 1997م، مباحث في الدعوة ومناهجها وأساليبها ووسائلها وبعض رجالها مؤسسة النجوم الهاشمية ، الزقازيق .
11. إمام، زكريا بشير،2000م، أصول الفكر الاجتماعي في القرآن الكريم ، روائع مجـــدلاوي.
12. أنيس، أبراهيم أنيس وآخرون ، دون تاريخ، المعجم الوسيط، دار إحياء التراث الإسلامي
13. البخاري، محمد بن اسماعيل،**1987م**، الجامع الصحيح، دار الشعب، القاهرة.
14. بدوي، عبد الرحمن بدوي،1963، مناهج البحث العلمي، دار النهضة المصرية، القاهرة.
15. البيانوني، محمد أبو الفتح، 2001م، المدخل إلى علم الدعوة ، مؤسسة الرسالة ،بيروت.
16. توفيق، محمود توفيق،2007م، منهجية البحث العلمي، مكتبة الانجلو مصرية ،القاهرة.
17. التونسي، محمد خليفة،1980، الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون.
18. الجرجاني، علي بن محمد،1405هـ ، التعريفات ،دار الكتاب العربي ، بيروت.
19. جريشة، علي جريشة ،1986،مناهج الدعوة وأساليبها ووسائلها ، دار الوفاء ، المنصورة .
20. الجوهري، اسماعيل بن حماد،1990، الصحاح، دار العلم للملايين، بيروت.
21. حسنة ،عمر عبيد ، 1998م، مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، المكتب الإسلامي.
22. خلاف، عبد الوهاب خلاف، دون تاريخ، علم أصول الفقه، دار القلم.
23. الذهبي، محمد بن أحمد،1413هـ، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي. مؤسسة الرسالة ،بيروت.
24. رضا، محمد رشيد بن علي 1990م، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
25. الزحيلي، وهبة بن مصطفى،1418هـ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق.
26. الزركلي، خير الدين بن محمود، 2002،الأعلام ،دار العلم .
27. سالم ، محمد عدنان وآخرون، 2001م، مشكلات في طريق النهوض ،دار الفكر، دمشق .
28. السايح، أحمد عبد الرحيم ،1977، الحضارة الإسلامية ، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة.
29. سبع، توفيق محمد ،دون تاريخ، قيم حضارية في القرآن الكريم، القاهرة: دار المنار.
30. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر،1420هـ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،1420هـ مؤسسة الرسالة .
31. صالح ، صالح بن عبد الله وآخرون، دون تاريخ، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم، دار الوسيلة للنشر والتوزيع.
32. صغيري، عبد العظيم صغيري، 2012م ،علم الجمال.. رؤية في التأسيس القرآني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر.
33. الطبري، محمد بن جرير، 2000، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة
34. طنطاوى، محمد سيد،1993م، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار المعارف.
35. العرمابي، محمد زين، 2007م، الدعوة الإسلامية الشمول والاستيعاب، مطابع السودان للعملة
36. علم الدين، مصطفى علم الدين،1992م، المجتمع الإسلاميّ في مرحلة التكوين، دار النهضة العربيّة، بيروت.

37. علي، صبح علي، دون تاريخ، التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية، المكتبة الأزهرية للتراث.
38. عناية، غازي عناية، 1990م، مناهج البحث العلمي في الإسلام، دار الجيل، بيروت.
39. الغزالي، محمد الغزالي، 1981، مع "الله "دراسات في الدعوة والدعاة، دار الكتب الإسلامية ، القاهرة.
40. الغزالي، محمد الغزالي، 2010م، جدد حياتك ، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
41. الغزالي، محمد الغزالي، دون تاريخ، نظرات في القرآن الكريم ،دار الكتب الحديثة، دمشق.
42. غلوش ،أحمد غلوش،1987،الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، دار الكتاب اللبناني ، بيروت
43. مالك ، مالك بن نبي،دون تاريخ، شروط النهضة، دار الفكر
44. مجلة البيان ،المنتدى الإسلامي ، لندن
45. مسلم، مسلم بن الحجاج ،دون تاريخ، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت
46. ندوة مقتضيات الدعوة في ضوء المعطيات المعاصرة، 2001م،جامعة الشارقة.
47. الواحدي،أبو الحسن،1968م،أسباب النزول، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع